**المحاضرة 02**

**الدّرس الصّوتي عند العـــرب**

**أمّـــا قبـــل:**

اهتم الإنسان منذ القديم باللغة وانتبه إلى طبيعتها الصوتية، ولعل أهم والاجتهادات البشرية وأقدمها التي وصلتنا ما قام به الهنود حين أولوا لغتهم السنسكريتية اهتماما بالغا بسبب كونها اللغة التي كتب بها النص المقدس "الفيدا"، ويعد بانيني الأب الروحي لهذه الدراسات اللغوية عند الهنود. وما دفع هؤلاء الهنـود لهذه الدراسة هو المحـافظة على نصوص كتـابهم المقدس وحماية اللغة السنسكريتية من التحريف في ظل تمكيـن أهـل هذه العقيـدة من الفـهم والنطق الصحيحين للكتـب المقدسة في الطقـوس والشعائر، فتفوّقوا في هذا المجـال تفوّقا شديدا سواء من الناحية النظرية أو التعليمية . فكانوا يعتمدون على الجانب الفيزيولوجي حيث وصف اللغويون الهنود بالتفصيل عملية النطق للأصوات، ودرسوا عمل أعضاء جهاز النطق، كما قدموا تصنيفا دقيقا للأصوات انطلاقا من مخارجها وصفاتها.

أما اليونان فقد كانوا هم أيضا ممن اهتم باللغة وبجوانبها الصوتية منذ القديم، ويمكن أن نوجز جهودهم بتوصيف عام فيما يلي:

- اهتمامهم بنظام الكتابة الأبجدية للغة، ويتجلى ذلك في أنهم استطاعوا إن يضعوا نسقا ترميزيا دقيقا بحيث يطابق فيه الصوت الحرف مطابقة تامة.

- تمييزهم بين الأصوات الصـائتة والأصوات الصامتة، وذلك منذ عهد "أوربيدس" (480-406 ) ق.م.

- اهتمامهم بتجزئة الصوت اللغـوي إلى حروف غير قابلة للتجزئة (حروف صائتة وصامتة) من خلال ملاحظات دقيقة تتبع أشكال جهاز النطق.

**الـدّرس الصوتي عن العرب:**

لقد اهتم العرب بالدراسة الصوتية اهتماما بالغا ،حيث ارتبطت المباحث الصوتية بنشأة القراءات القرآنية، التي تأسست دروسها من أجل الحفاظ على القران الكريم من اللحن والتحريف، شأنهم في ذلك شأن الهنود من قبلهم. ومن بيـن الأسمـاء التي لمعـت في هذا المجـال" نصـر بن عاصـم" (ت 89 هـ) ،" عبد الله بن أبي إسـحاق " (ت 117 هـ ) ، " أبـو عمـرو بن العـــلاء" (ت 154 هـ) و" عيسى بن يونس بن حبيـب" (ت 182هـ ) وتنتـهي السلـسلة إلى" الخليـل بن أحمـد الفراهـيدي" (ت 175هـ ) الواضـع الحقيـقي لأكثـر مـن علـم لعلـوم اللغـة، كمـا أنـه يعتـبر أول مـن وضـع الأسـس الأولـى لعلـم الأصوات العربية، ويتجلى ذلك في مقدمة " العين" التي فيها بواكير المعلومات الصوتية التي لم يدركها العلم فيما خلا العربية من اللغات إلا بعد قرون عدة من عصر الخليل.

**الخليل بن أحمد الفراهيدي**( ت175هـ): كـان أول من شرع منهاجـا للناس في هـذا العلم ( علم الأصوات ) الذي كانت معطياته موزعة بين معارف لغوية عامة وجوه قرائية خاصة، مما يتعلّق بقراءة القرآن الكريم وتحقيق لفظه وتجويد نطقه، وقد ارتبطت دراسته للأصوات العربية بالعمل المعجمي.

فكان "الخليل بن أحمد الفراهيدي " أسبق من ذاق الحروف ليتعرّف على مخارجها. وقد جاء على لسان تلميذه " الليث بن المظفر: » وإنّما كان ذواقه إيّاها أنّه كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف نحو : اَبْ ، اَتْ ، اَحْ ، اَعْ ، اَغْ ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلـها أول الكتاب «.

فبدأ من أقصى الأصوات في الحلق وصولا إلى الشفتين، ورتب الخليل أصوات العربية في تسعة أحياز، والحيز عنده هو الفراغ الذي يشغله الصوت في تجويف الحلق أو الفم، وهي :

1. الحلق : وفيه العين والحاء والهاء والخاء والغين .
2. اللهاة : وفيه القاف والكاف .
3. شجرة الفم : وفيه الجيم والشين والضاد .
4. أسلة اللسان : وفيه الصاد والسين والزاي.
5. النطع : وفيه الطاء والدال والتاء .
6. اللثة : وفيه الظاء والثاء والذال .
7. ذلق اللسان : وفيه الراء واللام والنون .
8. الشفة : وفيه الفاء والباء والميم .
9. أما الحيز التاسع فنسب إليه الحركات الطويلة ( ا- و- ي ) باعتبارها هوائية وأضاف إليها الهمزة أحيانا ونزعها منها أحيانا أخرى.

**سيبويـــــــــه:** حيث خصص للدراسة الصوتية فصولا في كتابه " الكتاب" حيث ذكر عدد الحروف العربية وعين مخارجها وميزها بصفات الهمس والجهر؛ وقد قام بتقسيم الأصوات خلاف أستاذه إلى ستة عشر مخرجا:

- أقصى الحلق: (الهمزة، ه، الألف) - أوسط الحلق: (ع،ح) - أدنى الحلق: (غ،خ) - أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى (ق) - أسفل من موضع الحلق من اللسان (ك) - من وسط اللسان وبين وسط الحنك الأعلى (ج، ش، ي) - من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس (ض) - من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه (ل) - من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا (ن) - من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام (ر) - مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا (ط، د، ت) - مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا (ز، س، ص) - مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا (ظ، ذ، ث) - من بين باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا (ف) - من بين الشفتين (ب، م، و) - من الخياشم (نون الخفيفة)

وكما نلحظ فقد خالف سيبويه أستاذه الخليل في ترتيب بعض الحروف. وتعد دراسته للأصوات من أوفى وأدق الدراسات في تعييـن المخارج.

**ابن جنـي:** أوّل من نظر إلى المبحث الصوتي على أنه علم قائـم بذاته وهو أول من اِستعمل مصطلحا لغويا للدلالة على هذا العلم ألا وهو علم الأصوات الحروف، كما أن تعريفه للغة جعله كاشفا لطبيعتها الصوتية في قوله: » أمّا حدها فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضـهم«.

**ابن سينا (ت428):** ظهر اهتمام ابن سينا بالصوت وتمكنه في تشخيصه في رسالته الموسومة "أسباب حدوث الحروف" تطرق فيه إلى جوانب الصوت الفيزيائية والتشريحية، وجعله ستة أقسام: - القسم الأول: لسبب حدوث الصوت وكيف أنه يحدث بالقرع الذي ينتج عنه تموج في الهواء - القسم الثاني: في سبب حدوث الحرف، حيث يبين أن التموج الذي ينجم عه الصوت تعترضه مسالك ومحابس تفعل الحرف - القسم الثالث: تظهر فيه كفاءة الطبيب في تشريح الحنجرة واللسان - القسم الرابع: جعله للأسباب التي تحدث كل حرف على حدى (مخرجه وصفاته) - القسم الخامس: تطرق فيه إلى الحروف الشبيهة بحروف العربية وليست منها مثل p, v , g - السم السادس والأخير: أشار إلى حقيقة طبيعية وهي إمكانية تحقق الأصوات اللغوية بغير أعضاء النطق في الطبيعة.

ففي المحطات السابقة أردنا أن نبين تفوق العرب في الدراسات الصوتية، وإن كنا لا ندعي أن الدراسات الصوتية كباقي مجالات الدراسات اللغوية العربية قامت لدراسة مجرد اللغة لكن الاهتمام بخدمة القرآن والدين عموما كان له فضل على تبلور الاجتهادات والدراسات اللغوية عموما والصوتية على وجه أخص عند العرب.